



جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم علوم القرآن والتربية
الإسلامية - البكالوريوس - المرحلة الرابعة

اسم المادة : مناهج مفسرين

عنوان المحاضرة

أسباب اختلاف المفسرين

أ.د. عثمان فوزي علي

أسباب اختلاف المفسرين:

وقع الاختلاف بين المفسرين في تفسير القرآن، وكان الخلاف بين السلف اقل منه بين المفسرين اللاحقين، وازداد الاختلاف بينهم فيما بعد، بعد نشوء الفرق والمذاهب المختلفة بين المسلمين، حيث كانت كل فرقة أو طائفة تلجأ إلى آيات القرآن لتتصر مذهبها، وتنقض مذهب الفرق المخالفة لها، وأدى هذا إلى (تحريف) الفرق المختلفة لمعاني القرآن.

وقام بعض العلماء برصد اسباب اختلاف المفسرين، وتصنيفها وبيانها والتمثيل لها. واختلاف السلف هو اختلاف تنوع، وحقيقة الخلاف بين السلف في التفسير، هو في طبيعته اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، أي التنوع القائم على التنويع والتمثيل والتقسيم، ويمكن الجمع بين الأنواع والأقسام والأمثلة، واعتمادها كلها، واعتبارها محتملة ومقبولة.

أما التضاد فإنه بمعنى التعارض والتناقض، بحيث يذكر أمران، ويكونان متعارضين متناقضين متضادين، فلا يمكن الجمع بينهما، لأن الضدين لا يجتمعان فإذا أخذنا أحدهما فنحن ملزمون برفض وترك الآخر.

ومن الأمثلة على اختلاف التنوع بين السلف: فقد اختلف الصحابة والتابعون في الشغل الذي يشغل المؤمنين في الجنة ما هو؟

أورد الإمام ابن كثير أقوالهم في ذلك:

١- قال الحسن البصري وإسماعيل بن أبي خالد: هم في شغل عما فيه أهل النار من العذاب.

٢- قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: هم في نعيم فرحون معجبون به.

أهم أسباب اختلاف المفسرين:

أولاً: اختلاف القراءات:

القراءات نوعان: قراءات صحيحة، وقراءات شاذة.

والقراءة الصحيحة هي القراءة التي تتوفر فيها شروط القراءة الصحيحة، وهي ثلاثة:

- صحة سند القراءة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

- موافقة العربية ولو بوجه واحد.

-موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً.

وقد جمع العلماء القراءات الصحيحة التي توفرت فيها الشروط الثلاثة ،وهي عشر قراءات لعشرة من أئمة القراء وأعلامهم.
ومثال القراءات:

الأولى: قراءة ابن كثير المكي: (سكرت) بتخفيف الكاف المكسورة ومعنى (سكرت) بالتخفيف :سحرت.أي: يقول الكفار :لقد سحرت أبصارنا ،وحبست عن الرؤية، ومنعت من النظر، بسبب السكر، وهو الحبس والسحر.

الثانية: قراءة التسعة الباقين - نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر وابو عمرو وابو جعفر ويعقوب وخلف (سكّرت) بتشديد الكاف المكسورة.
ومعنى (سكّرت) - بالتشديد - سدت وغطيت وأغشيت.

أي: يقول الكفار: لقد سدت واغلقت ابصارنا، فنحن لا نرى بسبب إغلاقها وسدها وتسكيرها.

ونتيجة لاختلاف القراءات في الكلمة اختلف المفسرون في معناها:

قال ابن عباس: (سكرت ابصارنا) :سحّرت أبصارنا.

والجمع بين القراءتين ممكن: فاذا كانت الابصار قد سكرت وسحرت، على قراءة التخفيف (سكرت) فأنها قد تعمق فيها السحر وتمكن منها، حتى سدها واغلقها ،على قراءة التشديد فالأبصار سكرت حتى سكرت، أي سحرت حتى سدت وأغلقت.
ثانياً: اختلاف وجوه الإعراب:

اختلاف وجوه الاعراب مبني على اختلاف القراءات ،فاذا كان في الكلمة اكثر من قراءة، فقد يكون لها اكثر من اعراب، ومن هنا يختلف المفسرون في تفسيرها.
آدم عليه السلام تلقى كلمات طيبة، اوحى الله له بها، ليقولها تائباً نادماً على ما فعل عندما أكل من الشجرة، وأخذ آدم عليه السلام تلك الكلمات، وقالها تائباً، فتاب الله عليه.

اختلف معنى الآية على اختلاف إعراب كلماتها، وعلى تحديد الفاعل والمفعول به، بين (آدم) و(كلمات).

فمن الذي تلقى الآخر؟ عند ابن كثير المكي: الكلمات هي التي تلقت آدم واستقبلته واتصلت به، وعند القراء الآخرين: آدم هو الذي تلقى الكلمات وأخذها ونطق بها(). فنقول: لعل القرآن يشير الى مرحلتين في هذا الأمر أكل آدم من الشجرة وما نتج عنه .

المرحلة الأولى: رحم الله آدم لما أكل من الشجرة ، ولم يتركه الشيطان ، فأوحى الله له بكلمات طيبة ، وتوجهت هذه الكلمات اليه ، واتصلت به ، واستقبلته ، وتلقته ، ودعته اليها ، وعلى هذا فالكلمات هي الفاعل ، الذي ذهب الى (آدم) المفعول به.

المرحلة الثانية: فرح آدم عليه السلام بالكلمات التي تلقتها ، وفهم ماذا تعني له ، وانها هبة ورحمة من الله ، فتجاوب معها ، وأخذها وتلقاها وقالها ونطق بها ، وهذا يكون آدم هو الفاعل الذي تلقى الكلمات واستفاد منها .

ثالثاً: الاختلاف في المعنى اللغوي للكلمة:

قد يختلف المفسرون في معنى كلمة من كلمات القرآن ، للاختلاف اللغوي في معنى الكلمة.

فما معنى الحواريين؟ ولماذا سمّوا بذلك؟

اختلف المفسرون في سبب تسميتهم بالحواريين:

اولاً: فقال بعضهم: سمّوا بذلك لبياض ثيابهم.

ثانياً: وقال آخرون :كانوا قصّارين يبيضون الثياب.

ثالثاً: وقيل: كانوا صيادين.

ورابعاً: هم خاصة الأنبياء الذين نصرّوهم.

وقد رجح ابنُ جرير الطبري أنهم سموا بذلك لبياض ثيابهم، لأن (الحواريين) – أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام – مشتقة من (الحور) وهو عند الطبري شدة البياض.

ويقال (الحواري) : من الطعام هو شديد البياض ، وهو لباب الدقيق ، ويقال: رجل أحور :وهو شديد بياض العينين ، وامرأة حوراء :شديدة بياض العينين .

بينما رجح ابن كثير رحمه الله أنهم سموا بذلك لانهم نصرّوا عيسى عليه السلام ، لان الحواري عنده هو الناصر .

واستدل ابن كثير على هذا بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إنّ لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير)

والخلاصة هي: اصل مادة (حور) في اللغة التردد والرجوع ،الذي يقود الى الصفاء والحسن والنقاء والجمال، وهذا يتحقق في (تحوير) الخبز والثوب: تبييضه الذي يعني المبالغة في صفائه ونقائه، والحواري هو الناصر ، لأنه أنتقي من بين الآخرين، وهو لن يكون حوارياً ناصراً الا اذا بلغ الذروة من النقاء والصفاء والطهارة.

ونرى ان هذه المعاني كلها متحققة في (الحواريين) أنصار عيسى عليه السلام، فأساس حياتهم قائم على الخلوص والصفاء والنقاء، وهم نصرّوا عيسى عليه السلام، وبذلك كانوا انصار الله ،واختيروا من بين الناس لهذه المهمة العظيمة ،التي لا يختارها الا أصفى الناس وأطهرهم.

رابعاً: الاختلاف في المشترك اللفظي:

(المشترك) في اللغة هو :ان يدل اللفظ الواحد على اكثر من معنى، كان يدل على معنيين أو ثلاثة أو أكثر.

وقد يكون المعنيان متوافقين متكاملين، وقد يكونان مختلفين متضادين.

ومن المشترك المتوافق في المعنى: (النكاح).

فالنكاح

فمعنى: (نكحتم المؤمنات) :عقدتم عقد الزواج على المؤمنات .و لا يصح ان يكون معنى الجملة: الجماع والوطء والمعاشرة ووردَ النكاحُ في القرآن بمعنى الوطء والجماع والمعاشرة الزوجية . لان الآية تتحدث عن الزوجة بعد ان يطلقها زوجها الطلقة الثالثة، فإنها لا تحل له الا بعد ان ،بان يتزوجها هذا الرجل الثاني ،وينكحها ويعاشرها ويجامعها.

فالنكاح في القرآن مشترك، يطلق على عقد الزواج ، ويطلق على الجماع، والذي يحدد احد المعنيين هو السياق ومعنى الآية التي وردت فيها الكلمة.

خامساً: الاختلاف بسبب احتمال العموم والخصوص:

بعض الفاظ القرآن عامة، وبعضها خصص، وبعضها بقي على عمومته، لكن كلامنا هنا عن العام في ظاهره ،هل يُراد به العموم أم يراد به الخصوص؟ كان هذا

سبباً من أسباب اختلاف المفسرين، ومن صيغ العموم في القرآن اللفظ المعرف بـأل التعريف مثل :الانسان ،الناس، المؤمنون، الكافرون، وبعض الفاظ العام في القرآن باقٍ على عمومته فهذا يشمل الناس جميعاً، ومعلوم ان الله لا يظلم أحداً، وبعض الفاظ العام يراد بها الخاص ،ولا تبقى على عمومها .

قال المفسرون: (الناس) في الآية لفظ لم يبق على عمومته ،وانما اراد به الخصوص ،واختلفوا في الخاص المراد به:

اولاً: قال عكرمة مولى ابن عباس: المراد بالناس محمد (صلى الله عليه وسلم). والمعنى :اليهود حسدوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) على ما اتاه الله من فضله ، وهو النبوة ولهذا التخصيص لطيفة : ان محمداً هو أفضل وأكرم وأشرف الناس، ولذلك ورد كلمة الناس في الآية والمراد بها شخصه الكريم (صلى الله عليه وسلم)وكأن الإنسانية كلها تمثلت فيه، فكان هو صفوتها وخلاصتها، (صلى الله عليه وسلم).

ثانياً: وقال قتادة: المراد بالناس في الآية هذه الحي من العرب ،الذين اسلموا واتبعوا محمد (صلى الله عليه وسلم).

والمعنى: حسد اليهود الأمة المسلمة لأن الله بعث فيها الرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم). وأتاها الرسالة العظيمة

سادساً: الاختلاف بسبب احتمال الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: وهو اللفظ المستخدم فيما وضع له.

والمجاز: وهو اللفظ المستخدم في غير ما وضع له، مع قرينة تدل على ذلك.

والسماوات ليس لها رغبة في الانفطار، ولكن التعبير يدل على ان الأمر عظيم.

وهذا كقولك: إني لأكاد أطيّر من الفرح .وانت لم تقرب من الطيران ،ولم تهمل به ،ولكنك تريد ان تشير الى ان الأمر عظيم.